

تربط هاتين الدولتين في وجه العالم الغربي بأسره ، ولا ينبغي أن ننظر إلى الحرب بينهما إلا على اعتبار أنها فكرة متمنة أو أمنية ترد علينا مورد التفكير ... أما الواقع فهو أن الدولتين خليقتان أن تتقاربا وتتخالفا لأنهما متشابهتان في لباب العقيدة وأحوال الاجتماع . ومن الحق أن تترقب هذه المحالفة ولو ناقضتها في الظاهر جميع الاعتبارات والتقدير ... »

وفي قريب من الوقت الذي طبع فيه ذلك الكتاب كان كتاب آخر باسم « بولونيا مفتاح أوروبا » يطبع لمؤلفه الدكتور رايكوندلسلي بويل Raimond Leslie Buell الحجة الثقة بين علماء الأمريكيين في هذه الشؤون ، وكان مؤلفه يراجع آراء هنر التي بسطها في كتابه « جهادى » عن المحالفة بين الروس والألمان فيرد عليها قائلاً :

« ومع هذا يحتمل أن تصبح روسيا أقوى من أن تمزق وأضعف من أن ترفض اقتراحاً من النازيين بالاتفاق الشامل بين الفريقين . ففى في عزلتها عن فرنسا وبريطانيا العظمى ، وفي حذرهما من تهديد اليابان لتخومها الشرقية ، قد تؤثر محالفة ألمانيا على محاربتها ، وقد تؤدي هذه المحالفة إلى بطلان الدولية الثالثة وتقديم الموارد الروسية إلى الألمان واتخاذ السياسة المادية لليهود ؛ ويلوح أن إبرام هذا الاتفاق عسير قبل موت ستالين ، ولكن احتمالاً من هذين الاحتمالين وهما الحرب أو المحالفة الشاملة أمر لا ينبغي أن يعزب عن البال ... ولا يصعب علينا أن نتوقع اتفاقاً على تقسيم بولونيا تقسيماً جديداً بعد المحالفة »

وحوالى هذا الوقت بعينه كانت صحيفة إنجليزية تصدر في فانكوفر اسمها شمس فانكوفر Vancouver Sun وهي بلدة في كندا تنشر بحثاً شافياً في هذا الموضوع فتقول فيه بعد عرض المسألة من جميع جوانبها ما خلاصته : « إن ستالين وهتلر قد يطرحان عنهما خصومتها الفاعمة في الوقت الحاضر ويتفقان على تكرار تقسيم بولونيا من جديد . فالحكومة والأحوال في كلتا الأمتين الروسية والألمانية ليس بينهما كبير خلاف ، وإن سخط هتلر وأصحابه من بيان هذه الحقيقة : كلتاها حكومة طغيان عسكري لا أثر في ظلها للحرية ، وقد صدقت الفكاكة التي تشيع

الباحثون والساسة

للأستاذ عباس محمود العقاد

— — — — —

المعروف عن رجال السياسة في أمم الغرب أنهم أوسع اطلاعاً وأكمل ثقافة من رصفائهم في الأمم الشرقية ، فنهج الأدباء والناقدون . ومنهم المشتغلون بالفن أو بالعلم أو بالرياضة ، وقل منهم من ليست له مشاركة في موضوع من موضوعات الذوق أو التفكير

لكن المعجب فيهم مع ذلك أنهم يعدون في بلادهم من أقل الناس اطلاعاً على الدراسات النافعة في شؤون السياسة المصرية ، أى الشؤون التي هم بها مشغولون وعليها عاكفون ، كأنما يستنكف أحدهم أن يتعلم شيئاً في مسألة من المسائل هو أخرى أن يجلس فيها مجلس الأساتذة العظماء

ومن هنا يمتورم السهو والتقصير ، وتعرض أحكامهم على المسائل المالية لما يشبه النغلة والإهمال

مثل من الأمثلة الكثيرة على ذلك هذه المحالفة الشيوعية النازية التي وقعت عند أكثرين موقع المفاجأة والغرابة وفي طليعتهم أقطاب الوزارة والسفارة

في الوقت الذي كان فيه بعض السفراء والوزراء يمانون صدمة المفاجأة من جراء هذه المحالفة للبرية كان قراء الكتب السياسية يتلقونها كما يتلقون نبأ جازاً في التقدير بل صرحاً أعظم الترجيح في الحسبان

في أوائل هذه السنة طبع كتاب الناقد السياسي والخبير الاقتصادي الدكتور بيتر دركر Peter Drucker الموسوم بنهاية الرجل الاقتصادي أو الرجل الذي يفترضه الشيوعيون والنازيون The End of Economic man فإذا بالمؤلف يقول عن المحالفة بين روسيا والأمم الديمقراطية : « إنها قد أحدثت من الأضرار ما لم تحده قط غلطة سياسية في السنين العشرين الأخيرة . فلن تقع الآن حرب بين ألمانيا وروسيا ما لم تفرض في الطريق قارعة لا تخاطر على البال ... ومتى امتنعت الحرب فلا بد من محالفة

وقرار يتخذونه وزير خاضع للقيود العملية والوقائع الراهنة والمنازعات الحزبية تسأل :

هبوا وزراء فرنسا وبريطانيا المعطى اطلعوا جميعاً على كتب الباحثين وفصول الخبراء الثقات في ترجيح المحالفة النازية الشيوعية والتبئيس من المحالفة الأخرى وآمنوا أسدق الإيمان بما قرأوه فإذا عسّام كانوا صاعين ؟

كانوا يجمعون عن مفاوضة روسيا ويستضيفون الوقت فيما ليس وراءه طائل

ونعود فنسأل : أترام يحسنون بذلك أم يسيئون ؟
واعتقادنا نحن أنهم يسيئون غاية الإساءة ، لأن أنصار روسيا بين الفرنسيين والإنجليز وأبناء الأمم أجمع يظنون بعد ذلك في ضلالهم القديم ، يزعمون لأنفسهم أو لغيرهم أن سياسة فرنسا وإنجلترا هم الذين عزلوا روسيا وقطعوا ما بينهم وبينها فدفموا بها كارهة إلى أحضان النازيين أعداء الديمقراطية ، وأنهم إذن مسؤولون عن هذا القتل وعمّا بضيع بسبيله من الأرواح والأموال

ومتى شاعت هذه العقيدة بين الطبقات التي يؤخذ منها الجنود والعمال فالخطر عظيم ، وتزييف العقيدة بالحجج العلمية والدروس النظرية عسير ، وباب المكابرة واللجاجة مفتوح لمن شاء على مصراعيه

أما اليوم فقد أخطأ الساسة في مفاوضة الشيوعيين وأصاب المقدار . فلا مكابرة ولا لجاجة ولا خفاء بمحققة النيات بعد أن بلغ من وضوح الحقيقة أن تلمسها كل يد وتبصرها كل عين إن الدراسة حصة واتباع الواقع حسن ، وأحسن منهما واقع تهديه دراسة الدارسين . عباس محمود العقاد

اليوم في البيئات الألمانية وغواها أن صاحباً يسأل صاحبه في معزل عن الناس : ما الفرق بين روسيا السوفيتية وألمانيا النازية ؟ فيجيبه : الجواب في روسيا أبداً ... !

كان الباحثون السياسيون يفيضون في أمثال هذه البحوث بين الترجيع تارة والتوكيد تارة أخرى والسفراء والوزراء يلحون في وجوب عقد المحالفة بين روسيا من جهة وبريطانيا المعطى وفرنسا من الجهة الأخرى ، وكان منهم رجل حصيف مثل لويد جورج يكتب ويتأدى بأن هذه المحالفة ضرورة لا يحصى عنها وباب لا باب غيره للنجاة من أرهاب المنارية والنازية ، وكانت الإشاعات تتوالى بالتقدم في طريق الاتفاق والدخول في التفصيلات التي لا ضير منها على المبادئ والأصول ، وتشاء مضحكات القدر أن تقرأ أبناء هذه البشريات وأبناء النذر الرومي في بريد واحد وصل بعد استنفال الخطب وجلاء الشكوك !

وينأني القارىء : وما اقتراحك في هذه المشكلة ؟ أترأك توصي بإسناد الوزارة والسفارة إلى الباحثين والدارسين وانزعاعها من أيدي الوزراء والسفراء ؟
وأبادر فأقول معاذ الله ! ... إن الباحث باحث والوزير وزير ، فإذا أصبح الباحث وزيراً بطل بمحنه وتقص من أحد طرفيه ولم يستوف المملين في آن

وإنما أقول بوجوب الاتئاع بهذه البحوث والدراسات في تذكير الوزراء والسفراء أو في بسط وجوه النظر في كل مسألة من مسائل السياسة والحكم عند ما يمرضها عليهم العارضون فيشتمل كل مكتب من المكاتب المتصلة بالسياسة القومية أو السياسة المالية على قسم للقراءة والتلخيص والتبويب ، ولا تنظر مسألة من المسائل إلا ومعهما سجل الحقائق والمعلومات والآراء التي اهتمت إليها في تلك المسألة ذوو الخبرة والاختصاص

وليان الفرق بين قرار يتخذونه عالم منقطع للدرس والمراجعة

